

الحلقة الواحدة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تشعر مستمعي بالفراغ النفسي من الداخل؟ وأن كل ما تقدم عليه من مباحج الحياة يزيدك خواء وشعوراً بالدوران في حلقة مفرغة؟ وهل تعلم أنك لست وحدك في هذا الاحساس؟ فمعظم الناس يشعرون هذا الشعور في دواخلهم ولا يعرفون كيف يتخلصون منه أو يتجنبونه. هل تعلم مستمعي أن المخلص المسيح قد عالج هذا الموضوع بالذات؟ إذ عندما كان اليهود يحتفلون بعيد الفصح، فوقف يسوع المسيح في اليوم الأخير من العيد ونادى قائلاً:

«إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَقْبَلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ». قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ. فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا سَمِعُوا هَذَا الْكَلَامَ قَالُوا: «هَذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ». آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ!» (بشارة يوحنا ٧: ٣٩-٤١ أ). سنأمل أعزائي الآن بتصريح المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، لقد نادى المخلص المسيح قائلاً: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَقْبَلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ». هل تحس مستمعي بوجود فراغ كبير في داخلك؟ وهل تشعر بالتالي بالعطش الروحي؟ وهل تحاول ان تملأ هذا الفراغ وتروي نفسك بملذات ومباحج هذه الحياة؟ أو بالأمور المادية المتنوعة؟ لقد حاول الكثيرون ملء هذا الفراغ بوسائل شتى لكنهم عادوا خائبين. والسبب لأن ملذات هذا العالم ومباحجه وأموره المادية المتنوعة لا تستطيع أن تملأ فراغ القلب من الداخل، أو تعطيه السلام القلبي والراحة الحقة. لأن هذه الأمور كلها تعجز عن أن تسد احتياجات الإنسان الروحية.

وهو ما أكدّه الحكيم والملك سليمان قديماً وقبل مئات السنين، الذي اختبر كل أنواع ملذات ومباحج الحياة، وجمع لنفسه كما قال فضة وذهباً، وبنى لنفسه بيوتاً وغرس كروماً، وعمل جنّات وفرايديس. واتخذ لنفسه مغنين ومغنيات وتعمات بني البشر سيّدة

وسيدات. ومهما اشتتهه عيناه لم يمسكه عنهما. لكن ماذا كانت النتيجة بالنسبة لسليمان الحكيم؟ كتب قائلاً: «ثُمَّ التَفَّتْ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمَلْتُهَا يَدَايَ، وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعَبْتُهُ فِي عَمَلِهِ، فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ، وَلَا مَنَفَعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ» (سفر الجامعة ٢: ١١) إذن لم يجد سليمان الحكيم في كل ما عمله وسعى إليه من مباحج أية راحة قلبية. لا بل أكد أن الكل «باطلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ، وَلَا مَنَفَعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ» ثم تساءل قائلاً: «لَأَنَّهُ مَاذَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ، وَمِنْ اجْتِهَادِ قَلْبِهِ الَّذِي تَعَبَ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ؟ لِأَنَّ كُلَّ أَيَّامِهِ أَحْزَانٌ، وَعَمَلُهُ غَمٌّ. أَيْضًا بِاللَّيْلِ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ. هَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ هُوَ» (سفر الجامعة ٢: ٢٢-٢٣).

أي وصف الحكيم سليمان كل أيام الإنسان بأنها أحزانٌ، وعمله غمٌ، وأن قلبه لا يستريح بالليل. وهو ما أكده أيضاً المخلص المسيح عندما قال مرّة أن «كل من يشرب من هذا الماء» أي ماء مباحج العالم وثورته «يعطش أيضاً» (بشارة يوحنا ٤: ١٣). والسبب لأن ماء هذا العالم لا يُروى الإنسان أبداً. لقد كشف المخلص المسيح في كلامه للجموع: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ»، حقيقة هامة وهي: أن كل من عنده هذا العطش الداخلي، ويرغب أن يروي نفسه العطشى، ليأت إليه أي إلى المسيح المخلص. وعندها يروي المسيح قلبه ويملاً فراغه بسلامه العجيب.

هل تعلم مستمعي أن المسيح لا يُروى عطشك فحسب، بل يفيض بالماء الحي من داخلك؟ ولهذا تابع المسيح قائلاً: «مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارٌ مَاءٍ حَيٍّ». والكتاب الذي أشار إليه المسيح في تصريحه هنا، هو العهد القديم من الكتاب المقدس. ففي العهد القديم أعلن النبي إرميا أن الرب هو الينبوع الذي تخرج منه المياه الحية. وتنبأ النبي إشعيا قائلاً: «فَتَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِعِ الْخَلَاصِ» (إشعيا ١٢: ٣). فعندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح، يُروى المسيح كيانه بالماء الحي، ويفيض عليه بفرحه الدائم وسلامه العجيب.

هذا الفرح الذي وصفه الرسول بطرس فيما بعد «فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لَا يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ» (ابطرس ١: ٨) ووصف الرسول بولس هذا السلام الذي يحل بالإنسان: «بِسَلَامِ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ» (فيلبي ٤: ٧). وهذا ما قصده المسيح بقوله: أن الذي يؤمن به، تجري من بطنه أنهار ماء حي. وبتعبير آخر يفيض فرح الله المجيد وسلامه العجيب من داخله، ويصبح واضحاً للأخريين. وعندما أعلن المسيح هذه الحقيقة كان يشير كما ذكر البشير يوحنا «عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمَعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ». وهذه نقطة هامة علينا أن نتأمل بها. إذ عندما يؤمن الإنسان

بالمخلص المسيح يحل روح الله القدوس في داخله، وهو الذي يملأ فراغ قلبه، ويهبه فرح الله الفائق الوصف، وسلامه العجيب. وعندها تجري من بطنه أي من داخله أنهار ماء حي كما قال المسيح.

ولنلاحظ قول البشير يوحنا أن «الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ». فلقد نزل الروح القدس على تلاميذ المسيح والمؤمنين به في يوم الخمسين، بعد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة، أي بعد أن تمجد المسيح. ويحصل اليوم كل من يؤمن بالمسيح على الروح القدس. وكان رد فعل الناس على تصريح المسيح هذا: «أَنْ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ قَالُوا: «هَذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ». آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ!» أي تأكد لهم أنه هو النبي، والمسيح المنتظر الذي تنبأ عنه الأنبياء.

وماذا عنك مستمعي ألا تود أن تروي عطشك وتختبر هذا الاختبار المجيد؟ لم لا تؤمن الآن بالمسيح المخلص؟!!